﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ [النساء: 166]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تتميم المنزل إلى الأنبياء برسالة محمّد الصّادقة والصّحيحة

لَمَّا ذكَر الله تعالى الوحي إلى الأنبياء والمُرسَلين - عليهم الصَّلاة والسَّلام أجمعين - في الآيات السَّابقة؛ نوَّه في هذه الآية بمزيَّةٍ للموحى به إلى رسول الله ﷺ، وهي شهادته تعالى على تلك الرِّسالة بصحَّتها وصِدق ما جاء فيها، كما شهدت بذلك ملائكة الله الأطهار، وَكَفى بِالله شَهيدًا على ذلك.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَشۡهَدُ﴾: الشّهود، والشَّهادة: الحضور مع المشاهدة: إمَّا بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفردًا، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الأنعام: 73]، لكن الشُّهود بالحضور المجرد أولى، والشَّهادة مع المشاهدة أولى، والشَّهادة: قول صادر عن علمٍ حصل بمشاهدة بصيرةٍ أو بصر، وشهدت: يقال على ضربين: أحدهما: جارٍ مجرى العلم، وبلفظه تقام الشَّهادة، ويقال: أشهد بكذا، والثَّاني: يجري مجرى القسم، فيقول: أشهد بالله أنَّ زيدًا منطلق، فيكون قسمًا، وقد يُعبَّر بالشَّهادة عن الحكم نحو: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [يوسف: 26]، وعن الإقرار، نحو: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: 6]، وعلى الإخبار نحو: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ [يوسف: 81]، أي: ما أخبرنا.

وعلى هذا فالشَّهادة في الشّريعة: إخبارٌ عن عيان بلفظ الشَّهادة في مجلس القاضي بحقٍّ لآخر على آخر؛ فالإخبارات ثلاثة: إمَّا

بحقٍّ لآخر على آخر، وهو الشَّهادة، أو بحقٍّ للمخبر على آخر، وهو الدَّعوى، أو بالعكس، وهو الإقرار[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

شـهـادة الـلـه والملائكة بصدق مـا أنـــزل على محمّد ﷺ

في هذه الآية يشهد الله على نبوَّته ﷺ، قائلًا له: إنْ يكفُرْ بك مَن كفَر، ويجحد بأنَّ الله ما أنزل على بشر من شيء بعد موسى عليه السلام فإنَّ الله يَشهَدُ بما أَنزله عليك من كتاب عظيم، هو القُرآن الكريم، فإنَّه أَنزله تعالى بعِلمه، والملائكةُ كذلك يَشهدونَ على صِدق ما جِئتَ به؛ فلا يَحْزُنْكَ تكذيبُ مَن كذَّب، ولا كُفرُ مَن كَفَر، وحَسْبُك بربِّك ﷻ شاهدًا على صدقك وصِدق ما جئتَ به.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الابتداء بالاستدراك، في قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾:

شـهـادة الـلـه لا تعدلها شهادة

معلومٌ أنَّ (لكن) لا يبتدأ بها؛ لأنَّها استدراك على ما سبق، ولكنَّه بدأ بها هنا؛ لأنَّ هذه الآيات بأسرها جوابٌ عن قوله: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [النساء: 153]، وهذا الكلام من اليهود يتضمَّن أنَّ هذا القرآن ليس كتابًا نازلًا عليهم من السَّماء، فكأنَّه قيل: إنَّهم وإن شهدوا بأنَّ القرآن لم ينزل عليه من عند الله، لكن الله يشهد بأنَّه نازلٌ عليه منه سبحانه.

وافتتح بها - أيضًا- ردًّا على اعتراضهم على نبوَّته، لَمَّا قال القرآن له: ﴿*إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾؛ قالوا: ما نَشْهَدُ لَكَ بِهَذا، فنزل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾، وَشَهادَةُ الله خَيْرٌ مِنْ شَهادَتِهِمْ؛ لأنَّه شهد بِما أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ، وفي ذلك: إِثْباتٌ بِإِظْهارِ المُعْجِزاتِ، كَما تَثْبُتُ الدَّعاوى بِالبَيِّناتِ[2].

(1) الشَّريف الجرجانّي، التّعريفات، 129.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/592، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/101، 4/140، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/44.

المجاز المرسل في التَّعبير عن نزول القرآن بالشَّهادة:

شـهـادة الـلـه للقرآن بالصّدق وللرّسول بالنّبوّة

عبَّر القرآن عن النُّزول بالشَّهادة على سبيل المجاز المرسل؛ لأنَّ القرآن الكريم معجزٌ في لفظه وفي معناه، فعجز الأوَّلون والآخرون عن معارضته، فكان ذلك إعجازًا للقرآن، وإظهار المعجزة شهادة بكون المدَّعي صادقًا، ولمَّا كانت شهادته إنَّما عرفت بواسطة إنزال القرآن، لا جرم إن قال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾، أي: يشهد لك بالنُّبوَّة بواسطة هذا القرآن الَّذي أنزله إليك[1].

دلالة ﴿لَّٰكِنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾:

الاسـتـدراك نتيجة عناد أهل الكتاب وغلوّهم

لَكِنْ: حَرْفُ اسْتِدْراكٍ، يخالف ما قَبْلَه ما بَعْدَه، والاسْتِدْراكُ بـ﴿لَّٰكِنِ﴾ يَقْتَضي تَقَدُّمَ جُمْلَةٍ مَحْذوفَةٍ؛ لِأَنَّ (لَكِنْ) لا يُبْتَدَأُ بِها، فالتَّقْديرُ ما رُوِيَ في قصَّة الآية، وهي أنَّ أهل الكتاب سألوه إنزالَ الكتابِ من السَّماءِ، وتعنّتوا بذلك.

دلالة التَّعبير بالإظهار في مقام الإضمار، في الآية:

ورود لفـظ الـجـلالـة زجـر لـلـمـعـانـديـن، وتـثـبـيـت للمؤمنين

عبَّر بالإظهار بلفظ الجلالة (الله) دون الإضمار؛ فلم يقل: لكنَّه يشهد؛ لأنَّ المقام هنا مقامُ ردٍّ على المنكرين والمتعنِّتين من أهل الكتاب الَّذين طلبوا أن ينزل عليهم كتابًا من السَّماء جملة واحدة؛ فالإظهار مناسبٌ لزجرهم وردعهم عن تعنُّتهم، وفيه إشارة إلى إثبات نبوَّته ﷺ، وشهادة لشريعته بالصّحّة والصّدق.

دلالة التَّعبير بالشَّهادة دون العلم، في قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾:

الشَّهادة تجري مجرى القسم عـلـى صـدق النّبوّة

عبَّر بالشَّهادة في قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾؛ لأنَّ الشَّهادة أعمُّ من العلم، فكلُّ شهادة فيها علم، ولا يلزم في كلِّ علم شهادة، ويؤكِّد هذا ما ذكره الرَّاغب بقوله: "والشَّهادة: قول صادرٌ عن علمٍ حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر". وأيضًا إنَّه في موطن إقامة الحجَّة لا

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/102.

يكتفى من الشَّاهد أن يقول: أعلمُ، بل يحتاج أن يقول: أشهدُ، وهذا دليلٌ على قوَّة التَّعبير بالشَّهادة دون العلم، ولأنَّ الشَّهادة تجري مجرى القسم، وفي ذلك من أسباب التَّأكيد على نبوَّته ﷺ، فكأنَّ القرآن أقسم على نبوَّته.

دلالة تعدِّي الفعل ﴿يَشْهَدُ﴾ بالباء دون (على):

شهادة الله إقرارٌ بصحّة المُنْزَل ومصداقيّته على المدى

آثر القرآن الكريم تعدية الفعل ﴿يَشْهَدُ﴾، بالباء دون (على)، مع استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب في قوله: ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾الآية، ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾، وذلك لوجود فرق بينهم؛ فالفعل (شهد): إذا تعدَّى بـ (على)؛ فيعني: الإقرار والاعتراف، ومجرور (على) فيه هو المشهود ضدُّه، بخلاف شهد: إذا تعدَّى (بالباء)؛ فإنَّه يعني: الإدلاء بالشَّهادة، ومجرور الباء فيه هو منطوق الشَّهادة، وهذا هو المناسب لسياق الآية.

دلالة التَّعبير بالفعل المضارع، في قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾:

شهادته تعالى لا تحول ولا تزول

عبَّر بالفعل المضارع للدَّلالة على استمرار شهادته سبحانه، على صدق رسالته ﷺ وما أنزل عليه؛ فكلَّما اعترض المعترضون، وجادل المعاندون؛ كانت شهادة الله لرسوله المستمرَّة بمنزلة التَّثبيت والتَّقوية.

دلالة (الباء) في قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾:

شهادة الله بحقِّية ما أنزله، إثبات لنبوَّة محمّد ﷺ

الجارُّ والمجرور في قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿يَشْهَدُ﴾، والباء صلة، والمشهود به هو الحقِّية، ويجوز أن يكون المشهود به هو النُّبوَّة، وتعلُّق ﴿بِمَآ أَنزَلَ﴾ تعلّق الآليّة، أي: يشهد بنبوَّتك بسبب ما أنزل إليك، لدلالته بإعجازه على صدقك ونبوَّتك، والمعنى فيهما مآله واحد؛ لأنَّ شهادته سبحانه بحقِّية ما أنزله من القرآن بإظهار المعجز المقصود منه إثبات نبوَّته ﷺ [1].

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 6/19.

دلالة العدول عن الإيحاء إلى الإنزال في قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾:

الإنـزال خـاصٌّ، والمـقـام يناسبه التَّخصيص

عدل القرآن الكريم عن التَّعبير بقوله: (بما أوحاه إليك) إلى ﴿أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾، مع أنَّ السِّياق السَّابق استخدم التَّعبير بالفعل ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ أكثر من مرَّة؛ لأنَّ المقام هنا مقام ردٍّ على المنكرين والمعاندين الَّذين طلبوا إنزال كتاب من السَّماء غير القرآن ليؤمنوا؛ فجاء التَّعبير بالإنزال ليبطل شبهتهم، وليقيم الحجَّة على صدق ما أنزله على رسولنا ﷺ في أنَّ الكتاب الّذي أنزله هو كتاب الله، والله يشهد بإنزال كتابه، وأيضًا أنَّ الوحي عامٌّ، والإنزال خاصٌّ، والمقام يناسبه التَّخصيص دون التَّعميم.

دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿أَنزَلَ﴾ دون المضارع:

ما أنزله الله من قبل أو من بعد كلّه حقّ لا ريب فيه

عبِّر بالماضي الَّذي يفيد تمام نزوله، لتغليب ما نزل من القرآن على ما لم ينزل، وتكون الشَّهادة على ما نزل موجبة للشَّهادة على ما لم ينزل؛ لأنَّ جهة الإنزال واحدة وجهة الشَّهادة واحدة، وعليه يكون المراد بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ جميع القرآن لا القدر الَّذي نزل وقت محاجَّة أهل الكتاب، وفيه بشارةٌ للنَّبيِّ ﷺ، باكتمال نزول القرآن رغم عناد المعاندين، واقتراحات المكذِّبين.

دلالة تعدّي الفعل ﴿أَنزَلَ﴾ بـ (إلى) دون (على):

تشريف المُنزَّل من القرآن، والمُنزَّل عليه بإيقان

دلَّ تعدِّي الفعل ﴿أَنزَلَ﴾ على انتهاء التَّبليغ للأمَّة؛ لأنَّ (إلى) تدلُّ على انتهاء الغاية، والانتهاء يكون من جميع الجهات، وهذا مناسب لمقام التَّبليغ، بخلاف تعدِّي الفعل بحرف الجرِّ (على) الَّتي تفيد الاستعلاء؛ فتركيبها مع الفعل ﴿أَنزَلَ﴾ يدلُّ على أنَّ النزول من جهة العلوِّ دون سائر الجهات، وهذا يدلُّ على تشريف وتكريم المُنزَّل والمُنزَّل عليه.

سرُّ التَّعقيب بقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ على الجملة السَّابقة:

أعقب الكلام بقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾؛ لأنَّه لمَّا قال قبلها: ﴿يَشۡهَدُ

بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾؛ بيَّن هنا صفة ذلك الإنزال، وهو أنَّه تعالى أنزله بعلم تامٍّ وحكمة بالغة[1].

القرآن منزل بعلم الله التّام، وحكمته البالغة

دلالة التَّعبير بالإضمار عن القرآن في قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾:

عبَّر بالضَّمير، وهو يعود على القرآن الكريم، وذلك لشهرته ولمعرفة أهل الكتاب به، وفي هذا إشارة إلى تفخيمه وتعظيمه، "أنزله بعلمه، بأنّك أهل للاصطفاء والإرسال، وبكلّ ما تحتاج إليه البشريّة في إكمالها وإسعادها، إذ حوى أعظم تشريع تعجز البشريّة لو اجتمعت أن تأتي بمثله"[2].

بالقرآن المنزل بعلم الله، تسعد البشريّة

دلالة (الباء) في قوله: ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾:

دلَّت (الباء) في قوله: ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ على وصف القرآن الكريم بغاية الحسن، ونهاية الكمال، وهذا مثل ما يقال في الرَّجل المشهور بكمال الفضل والعلم؛ إذا صنَّف كتابًا محكمًا، يقال: إنَّما صنَّف هذا الكتاب بكمال علمه وفضله، يعني: أنَّه اتَّخذ جملة علومه آلة ووسيلة إلى تصنيف هذا الكتاب، ويدلُّ ذلك على وصف هذا التَّصنيف بغاية الجودة ونهاية الحسن، فكذا هاهنا يقال: إنَّ القرآن الكريم بكمال علم الله بلغ الغاية في الإعجاز[3].

القرآن الكريم بلغ في الإعجاز منتهاه، بكمال علم الله

دلالة اقتران إنزال القرآن بالعلم، في قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾:

دلَّ اقتران الإنزال بالعلم على أنَّ القرآن الكريم نزل بعلمه سبحانه، فلا يتطرَّق إليه أيُّ خلل؛ لأنَّه يعلم متى نزل، وعلى من نزل، فلا يمكن أن يقع فيه اختلافٌ أو ادِّعاء نقص أو زيادة؛ لأن الله أنزله بعلمه؛ فمن ادَّعى فيه زيادة أو نقصًا؛ فهو جاهل بحقيقة علم الله تعالى، وهذه المعاني لا تتأتَّى إلَّا من صفة العلم دون غيرها

القرآن يحوي من عِلم الله ما يريد أَنْ يُطْلِعَ العِبادَ عَلَيْهِ

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 6/102.
(2) أبو بكر الجزائريّ، أيسر التّفاسير لكلام العلّي الكبير: 1/576.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 6/103.

من الصِّفات. وممَّا يذكر في هذا المقام في سرِّ اختيار العلم في قوله: ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾، الإشارة إلى أنَّ القرآن فيهِ عِلمُهُ الَّذي أَرادَ أَنۡ يُطۡلِعَ العِبادَ عَلَيۡهِ، مِنَ البَيِّناتِ والهُدى والفُرۡقانِ، وَما يُحِبُّهُ اللّه، وَيَرۡضاهُ، وَما يَكۡرَهُهُ، وَيَأۡباهُ، وَما فيهِ مِنَ العِلمِ بِالغُيوبِ مِنَ الماضي والمُسۡتَقۡبَلِ، وَما فيهِ مِنۡ ذِكۡرِ صِفاتِهِ تَعالى المُقَدَّسَةِ الَّتي لا يَعۡلَمُها نَبِيٌّ مُرۡسَلٌ وَلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، إِلَّا أَنۡ يُعۡلِمَه اللّه بِها، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البَقَرَة: 255][1].

اختلاف مرجع الضَّمير واختلاف الإعراب في ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾:

من بلاغة القرآن المحكم، كثرة المعاني مع قلّة الكلام

﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ في موضع نصب على الحال: إمّا من المفعول: وهو الهاء في ﴿أَنزَلَهُۥ﴾، أي: أنزله ملتبسًا بعلمه، أو معلومًا، أو أنزله، وهو معلومُه، أو من الفاعل، وهو المستتر في ﴿أَنزَلَهُۥ﴾، أي: أنزله، وهو عالم بأنَّك أهل لإنزاله إليك، أو أنزله، وهو عالم به، رقيب عليه، حافظ له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر: 9][2].

دلالة عطف شهادة الملائكة على شهادة الله في قوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾:

عناية الله سبحانه برسوله الأكرم، وبمَنزِلته الأعظم

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾، عُطِفَت شَهادَةُ المَلائِكَةِ عَلى شَهادَةِ اللّه؛ لِزِيادَةِ تَقۡريرِ هَذِهِ الشَّهادَةِ بِتَعَدُّدِ الشُّهودِ، وَلِأَنَّ شَهادَةَ اللّه مَجازٌ في العِلمِ، وَشَهادَةَ المَلائِكَةِ حَقيقَةٌ، وكثرة سوق الأدلَّة على إثبات الشَّيء تدلُّ على العناية به، وعلى عظم المشهود عليه؛ لأنَّ الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلَّا الخواص؛ كما قال تعالى في الشَّهادة على التَّوحيد: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: 18].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/476.
(2) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 2/383.

دلالة إظهار الفعل مع الملائكة في قوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾:

شهادة الملائكة تأكيد لصدق المُنْزَل وحقيّته

إِظْهارُ فِعْلِ ﴿يَشۡهَدُونَۚ﴾ مَعَ وُجودِ حَرْفِ العَطْفِ لِلتَّأْكيدِ[1]، والمعنى: يَشْهَدُونَ بِما أَنْزَلَ اللّٰه إِلَيْكَ بأَنَّه حقٌّ وصدْق، وبأَنَّك رسولُ اللّٰه، وقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾، " أي بذلك، مبتدأوخبر، والجملة عطفٌ على ما قبلَها، وقيل حالٌ من مفعول أنزله أي أنزله، والملائكةُ يشهدون بصدقه وحقِّيّته"[2].

دلالة تأخير الفعل، في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾:

شهادة الله وملائكته للنّبيّ ﷺ وكتابه، ضمان لِرِفْعَتِهِ وبقائه

أُخِّر الفعل ﴿يَشۡهَدُونَۚ﴾، ولم يأتِ مقدَّمًا على لفظ الملائكة؛ لبيان أنَّ شَهادَةَ المَلائِكَةِ تَبَعٌ لِشَهادَةِ اللّٰه؛ لأنَّها هي الأصل، وَقَدْ عَلِمَ النَّبيُّ ﷺ، بِشَهادَةِ اللّٰه لَهُ؛ إِذْ أَظْهَرَ عَلى يَدَيْهِ المُعْجِزات، وهَذا عَلى سَبيلِ التَّسْلِيَةِ لَهُ عَنْ تَكْذيبِ اليَهودِ، أي: إِنْ كَذَّبَكَ اليَهودُ، وَكَذَّبوا ما جِئْتَ بِهِ مِنَ الوَحْيِ؛ فلا تُبالِ، فإِنَّ اللّٰه يَشْهَدُ لَكَ، وَمَلائِكَتُهُ، فَلا تَلتَفِتْ إِلى تَكْذيبِهِمْ، وَلا يَحْزُنْكَ تَكْذيبُ مَنْ كَذَّبَكَ، وَخِلافُ مَنْ خالَفَكَ[3].

دور التّقديم والتّأخير في التّذكير والتّأنيث:

مراعاة أصل الملائكة في التّذكير، وطبيعة التّأنيث في جمع التّكسير.

لفظ ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: جمع تكسير[4]، يجوز فيه التَّذكير والتَّأنيث، وفي الاستعمال القرآنيّ نجد أنَّه إذا جاء الفعل من حيث الرُّتبة بعد ذكر الملائكة؛ فإنَّه يأتي بصيغة التَّذكير ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ﴾ [الرَّعد: 23]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾ [الأنفال: 50]، بخلاف مجيئه على التّرتيب الأصليّ بحيث يأتي الفعل ثمَّ الفاعل، فإنّ الفعل يأتي بالتَّأنيث مع لفظ الملائكة، مثل

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/44 - 45.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/44 - 45.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 7/694، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/592، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/141.
(4) كلّ جمع تكسير، فهو مؤنث في استعمال العرب، قال الزّمخشري: "إنَّ قَوْمِي تَجَمَّعُوا وَبِقَتْلِي تَحَدَّثُوا لَا أُبَالِي بِجَمْعِهِمْ كُلُّ جَمْعٍ مُؤَنَّثُ". أي وجوبا أو جوازا. ينظر: محمّد بن عليّ الصّبان، حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ: 2/77.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: 39]، وقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: 103]، وغيرها.

دلالة التَّعريف في لفظ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

شهادة الملائكة الكرام، دليل على ما للنّبيّ ﷺ من الإعظام

دلَّ التَّعريف في لفظ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على العموم، فهو يشير إلى أنَّ جنس الملائكة يشهدون بصدق نبوَّتك وبما أنزل عليك؛ فلا يختصُّ ذلك بنوعٍ من الملائكة دون نوع، فملائكة السَّموات السَّبع، وملائكة العرش والكرسيّ، كلُّهم مجتمعون، يشهدون بصدق نبوَّتك يا رسول الله.

دلالة التَّعبير بالفعل المضارع في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾:

شهادة الملائكة موثوقة، بوثوق هذه المخلوقات الطّاهرة

عبَّر بالفعل المضارع للدَّلالة على تجدُّد شهادة الملائكة واستمرارها بصدق رسالته، وهذا واضحٌ في إتيانهم لإعانته ﷺ، في كلِّ مواقف حياته، ولا سيَّما في الشَّدائد كما حدث معه، عندما ذهب إلى الطَّائف، وكذَّبه أهلها وآذوه، وكما في غزوة بدر إلى غير ذلك ممَّا يؤكِّد دوام شهادتهم من الشَّهادة حضورًا وتصديقًا.

دلالة دخول (الباء) على لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾:

كلُّ الشَّهادات مهما كان وثوقها، فهي تبعٌ لشهادة الله

قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، " تقديره: وكفى الله شهيداً، لكنّه دخلَتِ الباءُ لتدُلَّ على أنَّ المراد اكتفوا بالله"[1]، وقددخلت الباء على لفظ الجلالة؛ لتؤكِّد الكلام، ولتجمع بين لفظ الماضي ومعنى الأمر، والمعنى: اكتفِ بشهادة الله، وإن لم يشهد غيرُه؛ لأنَّ التّصديق بالمعجزة هو الشّهادة حقًّا، ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 19]، فإذا شَهِدَ لَكَ بِالصِّدْقِ رَبُّكَ؛ لَمْ يَضُرَّكَ تَكْذيبُ مَنْ كَذَّبَكَ[2]، وفي دخولها إشارةٌ إلى التَّفريق بين الاكتفاء بشهادة الله وشهادة الملائكة؛ فكلُّ الشَّهادات بعد شهادة الله تبعٌ لها.

(1) الثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 2/330.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 7/694، والزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/134، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/592.

دلالة إظهار لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾:

شهادة الألوهيّة عظمة وكمال

أظهر لفظ الجلالة؛ لإدخال الرَّوع على السَّامع وتربية المهابة في قلوب المعاندين والمعارضين، ولفظ الجلالة أعظم الأسماء، وأقواها دلالة على عظمة المولى وجلاله.

سرُّ التَّعبير بـ ﴿شَهِيدًا﴾ دون شاهد في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾:

من شهد له الله فحسبه

آثر التَّعبير بلفظ ﴿شَهِيدًا﴾ دون شاهد؛ لأنَّ لفظ شهيد أبلغ من لفظ شاهد، فصيغة فعيل تدلُّ على الاستمرار والدَّوام، وفي هذا مزيد عناية برسول الله ﷺ، " وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، هو دفع لشبهة من يقع في وهمه أن شهادة الملائكة تزكيّة لشهادة الله وتقوية لها.. تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا[1].

دلالة تقديم المسند إليه في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾:

شهادة الملائكة حقّ وصدق، وهي حجّة على النّاس أن يأخذوا بها

قُدِّم المسند إليه للتَّقوى، والمعنى: والملائكة يشهدون بنبوَّتك؛ فلا يحتاجون إلى دليل[2]، والمعنى: "والملائكة يشهدون أن هذا الكتاب هو من عند الله، وأنّك الرّسول المتخيّر، وشهادة الملائكة قائمة على الحقّ، لأنّهم لا يعرفون الكذب، ولا يتعاملون به.. فهم إذا شهدوا على شيء، كان حجّة على النّاس أن يأخذوا بهذه الشّهادة"[3].

جناس الاشتقاق، وتنوُّع مواطن الجمال في اللَّفظ والمعنى:

المحسّنات اللّفظيّة تزيّن السّياق، وتبيّن المقصود بجلاء

وهذا واضح في السُّور الآتية بين: ﴿يَشْهَدُ﴾، و﴿يَشْهَدُونَ﴾، و﴿شَهِيدًا﴾: جناس اشتقاق مغاير لاتفاقِ الكلماتِ في مادَّة (شهد)، واختلافها في الاسميَّة والفعليَّة.

دلالة ردّ العجز على الصَّدر، في قوله: ﴿يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾:

وفي قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ردُّ العجز

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنّي للقرآن: 3/1014.
(2) القونويّ، حاشية القونويّ على البيضاويّ: 7/363.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنّي للقرآن: 3/1014.

شــهــادة الــلــه أصــل أصــيــل، وشهادة الملائكة تابعة لها

على الصَّدر: حيث وافق آخرُ كلمة في الكلام آخرَ كلمة في صدره، "وشهادة الملائكة تبع لشهادة الله تعالى، وشهادتهم تكون يوم القيامة، يوم الحساب والعقاب، فشهادة الله تعالى للنبي وعليهم، وشهادة الملائكة عليهم يوم الحساب والعقاب"[1]، ولأهميّة الشّهادة وقيمتها، ردّ منها العجز على الصّدر، فالتأم المعنى وتكامل.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1969.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»